وقفة مع

حكيم بن حمودة

حتى لا يطغى علينا الخوف من المستقبل

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه. «يُحزنني أن يناى الجمهور بنفسه عن المسائل النظرية، وهو ما يؤثّر على عطاء الباحث»، يقول الاقتصادي التونسي في لقائه مع «العربي الجديد»

تونس ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

تشغلني الانعكاسات الاقتصادية والسياسية والفكرية لجائحة كوفيد 19، والتي جاءت لتؤكّد فشل الإنسانية في التحكم في الطبيعة وفي الأمراض، ولتذكّر بهشاشة الوضع الإنساني والعجز أمام الجوائح والمخاطر الكبرى. كل هذا ينبغي أن يدفع للتفكير في الخروج من الأنماط الفكرية والسياسية والتنموية المتّبعة. هذا بشكل عام. وهناك أيضاً المشاغل المباشرة التي تخص واقع المنطقة العربية، وأساساً الصعوبات التي تعرفها تجربة التحوّل الديمقراطي في بلدان «الربيع العربي».

نحن نعيش نهاية مرحلة في التجربة العربية السياسية وبداية مرحلة جديدة، وهذا المخاض ترافقه صعوبات كبيرة وتحديات كبيرة تحوّلت في بعض الأحيان، كما في ليبيا وسورية واليمن، إلى حروب مدمرة، وهذا ما يثير قلقي وحيرتي، وإن كانت حيرة مشحونة بالكثير من الأمل، أمل الخروج من النمط السياسي الذي هيمن على المنطقة العربية منذ استقلال بلدانها.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

آخر إصدار لي كان بعنوان «ديمقراطية اجتماعية أو ثورة محافظة: تونس بعد 2019» (منشورات نيرفانا)، الذي أتى نتيجة متابعة الانتخابات التونسية وقراءة في سوسيولوجيا تحوّلات ما بعد الثورة، وهو يُقدّم قراءة في الأزمات التي تعيشها أهم العائلات السياسية في تونس. أمّا الإصدارات القادمة، فهناك مجموعة من المشاريع أشتغل عليها، أبرزها دراسة حول مستقبل العولمة والديمقراطية في ظل الجائحة، وكتاب اقتصادي يتناول عجز النيوليبرالية. وقد وضعت له عنواناً أوّلياً «ما بعد النيوليبرالية ومحاولات أخرى». أمّا عن سبب اشتغالي على مشروعين أو ثلاثة في الوقت نفسه، فيعود إلى سبب بسيط، هو أنني في بعض الأحيان قد أصل إلى طريق مسدود في مشروع فأنتقل إلى آخر ريثما تتّضح الرؤية في المشروع الأول.

■ هل أنت راض عن إنتاجك ولماذا؟

هناك بعض الرضا؛ حيث أصدرت أكثر من أربعين كتاباً باللغتين العربية والفرنسية. صحيح أن المشاغل الاقتصادية مهيمنة على مؤلفاتي، ولكن هناك العديد من الكتب الفكرية والسياسية، والتي أثارت اهتمام القرّاء في تونس وخارجها، وهو ما يمنحني بعض الرضا، لكن لا ينبغي أن نغفل أنّ من يتفاعل مع الكتب الفكرية هم شريحة صغيرة وليس الجمهور العريض الذي يناى عن المسائل الفكرية والنظرية، وهو ما يؤثر على الباحث والمفكّر، لأن تجاوُب الناس واهتمامهم بما يكتبه يدفعه إلى المزيد من الكتابة.

■ لو قيض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

سأختار هذا المسار نفسه، أي التوجّه إلى الاقتصاد السياسي، لكن بمنظور منفتح أكثر على العلوم الاجتماعية الأخرى والتقطن مبكراً إلى ضرورة عدم الانحباس في الاقتصاد كتخصّص، وهو ما أقوم به اليوم، حيث طوّرت الكثير من المعرفة حول التاريخ والعلوم السياسية والثقافة بشكل واسع، كالأدب والشعر والسينما.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

التغيير الذي أنتظره، أو بالأحرى أسعى إليه، هو الخروج من الوضعية التي نعيشها اليوم؛ حيث يطغى علينا الخوف من المستقبل، ويطغى علينا غياب الرؤية وعدم الوضوح. أساهم بكتاباتي، أي بالطريقة المحدودة التي أستطيع، في فتح آفاق جديدة للقارئ، أودّ أيضاً أن تتوطّد قيم التآزر الاجتماعي والتآخي داخل المجتمعات، وبين البلدان والشعوب وأن يكون ذلك عنوان المرحلة الاجتماعية الجديدة.

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

أودّ محاورة ابن رشد. أعتبره مفكراً أساسياً جاء في فترة مفصلية من التاريخ العربي الإسلامي؛ فترة شهد فيها مجتمعه تراجع مبادئ الحرية وقيمة الحرص على العلم. أنا ممّن يعتقدون بأن ابن رشد لو انتصرت تصوّراته حول علاقة الدين والدولة وعلاقة الدين بالعلم لمكّن هذا الانتصار العرب والمسلمين من تجاوز مرحلة التراجع التي وصلتها الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس وربما أتاح ذلك زمناً أطول من التطور. لكن للأسف انهزم ابن رشد بين أهله وانتصر في الغرب فكان أحد المفاتيح لإنارة طريقهم نحو ثورة فكرية وحضارية مكّنتهم من الخروج من جاهليتهم التي عرفوها في القرون الوسطى، ليقودوا العالم بداية من القرن الثامن عشر.

■ صديق يخطر على بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

كثيرة هي الكتب التي أعود إليها، لعل من أبرزها أعمال الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس في نقد الحداثة؛ حيث يحدّد هذا المفهوم الفلسفي وتطوّره والقطيعة الإبستمولوجية التي أحدثتها في إعمال العقل والتفكير والعلم ودوره في إرساء الحريات والتعدد في المجتمعات البشرية، لكنه في الوقت نفسه يعود كذلك بالنقد إلى الانحرافات التي عرفتها الحداثة، والتي بموجبها شهدت سطوة العلم ومحاولته الهيمنة والسيطرة على الطبيعة وتراجع الفكر النقدي.

■ ماذا تقرأ الآن؟

قراءاتي متعدّدة؛ أمامي الآن روايتان تونسيّتان: «نازلة دار الأكابر» لأميرة غنيم وأجدها رواية هامة، و«الإسفنجة» للأزهر الزناد، وكلاهما صدر مؤخراً. أما بخصوص الكتابات الفكرية، فأقرأ آخر أعمال عالم الاجتماع الفرنسي إدغار موران، وكذلك أقرأ للباحث التونسي حمادي الرديسي كتابه «ابتكار الحداثات في الإسلام». هكذا أنا، لا أقرأ كتاباً واحداً أتفرّغ له، أفتح قراءات متعدّدة فأمرّ من كتاب إلى آخر. رحلة من كتاب الى كتاب.

■ ماذا تسمع الآن وهل تقترح علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

لديّ عادات صباحية تعود إلى أيام طفولتي، حين كنت أستمع إلى الإذاعة التونسية قرابة نصف ساعة صباحية، بعد القرآن تُقدّم باقة من أغاني فيروز. صباحاتي كلّها فيروز اليوم، حتى حين شغلت منصب وزير الاقتصاد والمالية في 2014 و2015 كنت أضع أغنياتها في المكتب. أما في المساء، فأذهب في جولات أبعد؛ أستمع إلى موسيقى العالم أو من الموسيقى السيمفونية الكلاسيكية. عموماً، ذائقتي الموسيقية متنوّعة، أسمع الفن الشعبي وموسيقى الراب وموسيقى الفرق الملتزمة، مثل فرقة «البحث الموسيقي» بقابس، وأنا صديق لهذه الفرقة وصديق للعديد من الفنانين التونسيّ؛ مثل حمادي العجيمي والهادي قلة. كما أحبّ الموسيقى الجزائرية والفن المشرقي، وخصوصاً عبد الحليم حافظ في «قارئة الفنجان».

بطاقة

باحث اقتصادي وكاتب تونسي من مواليد 1961. درس الاقتصاد السياسي في تونس وفرنسا، وشغل مناصب في مؤسّسات اقتصادية عالمية. كما شغل منصب وزير الاقتصاد والمالية في تونس بين 2014 و2015. وضع أكثر من أربعين كتاباً بالعربية والفرنسية؛ من بينها: «الأفكار الاحتيالية في الاقتصاد» (2000)، و«أفريقيا: من أجل عقد تنموي جديد» (2001)، و«الأزمة الشاملة: نظرة من الجنوب» (2002)، و«تونس، الاقتصاد السياسي للثورة» (2012).

حكيم بن حمودة (العربي الجديد)

إطلالة

رحلة عِبارة من أيام لينين

خيانة المثقّفين

ترحل العبارة اللينينية خارج حدودها الزمانية والمكانية للتنديد بالمثقّفين. وإذا كان ان يشكّك السياسيُّ المستبدُّ به، فإنه من غير المفهوم لماذا يستعيرها اليساري أيضاً؟

معدوح عزام

أنّ لينين نفسه كان مثقّفاً واسع المعرفة والاطلاع، فلم يقتصر نشاطه على الكتابة السياسية، بل كتب في الفلسفة أيضاً. كما ترجمت له وزارة الثقافة السورية منذ خمسين عاماً مختارات من كتاباته عن الأدب والفن، صدرت في جزأين بترجمة يوسف حلاّق. وبغضّ النظر عن آرائه الأدبية أو الفنية، فإن شخصاً من طرازه، لا يكتب نقداً لأدب تولستوي أو دوستويفسكي، دون أن يكون قد قرأ تولستوي ودوستويفسكي، وهذا هو أحد أعمال وأنشطة المثقّف، أي كتابة الرأي وإذاعته والمشاركة في السجالات الثقافية. فهل يمكن أن يقول شخص مثل لينين عبارة مطلقة تصف خيانة المثقّف في مطلق الأحوال، أم كان يعني «بعض المثقّفين»؟

وقد كان المثقّفون دائماً صنّاع الأفكار والنظريات، أو حمَلَتها، وحتى إذا كانت الطبقة العاملة ستقود أي تغيير، بحسب ما تقول الماركسية، فإنها ستحمل أفكار المثقّفين (ماركس وإنغلز مثلاً) في مسيرة التغيير. إذ لن تنفع المطارق والمناجل في فعل أي شيء، سوى إراقة الدماء، إذا كانت مجرّدة من الأفكار.

(روائي من سورية)

ماذا تفعل المطارق والمناجل إذا كانت مجرّدة من الأفكار؟

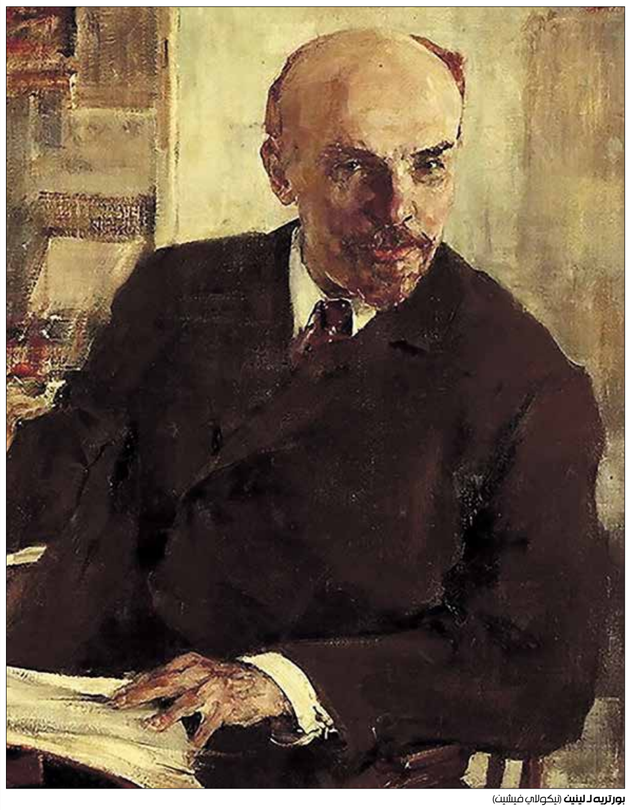

بورتريه لـ لينين (نيكولاي فيبلين)

ثُغري عبارة «خيانة المثقفين» الكثيرين، ومنهم من يسارع إلى تبنّي الفرضية أو المقدّمة قبل أن يقرأ النتائج، وعلى الرغم من قدم استعمالها، فإنها لا تزال قيد الاستخدام حتى يومنا هذا. ولن ترى في أي مكان عبارة تعادل هذه العبارة، لا خيانة العمال، ولا خيانة الطلاّب، ولا خيانة الفلاحين، ولا خيانة الموظّفين، علماً أنّ لدى كل واحدة من هذه الطبقات الاجتماعية، أو الشرائح أو الفئات، الكثير من القيم، وفيها الكثير من العيوب، مثلها مثل المثقّفين. وقد حمل كتاب مقالات مترجم لإدوارد سعيد هذا العنوان (وأظن أنه مغربك)، على الرغم من أن المفكّر الراحل لم يكتب غير مقالة واحدة بهذا المعنى، ولم يكن يقصد فيها بحسب ما نقرأ، أن يعمّم الكلام على خيانة محسوبة ومرصودة لمثقّفي العالم، وهو المثقّف العارف، بل كان يشير إلى «بعض المثقّفين» ممن خانوا مبادئهم، أو تخلّوا عنها في العالم الغربي. بينما كان في كتابة الذي حمل عنوان «صُوَر المثقّف» قد قال كلاماً مختلفاً تماماً عن المثقّفين، لم يتضمّن قطعاً تخوينهم بهذا العنوان المطلق، والصحيح هو ما يحاضر به عن أن للمثقّف صُوَراً عديدة منها أن يكون شاهداً مثلاً، أو أن يكون معارضاً للسلطة، وهي الصورة التي تستحوذ عليه.

واللافت أن ترى شيخاً معمّماً يكتب في زاوية من جريدة إلكترونية عن خيانة المثقّفين، مستعيراً هذه المرّة عبارة لينين التي يقول فيها: «إن المثقّفين هم أقدر الناس على الخيانة»، لأنهم أقدر الناس على تبريرها». ترحل العبارة اللينينية هنا خارج حدودها الزمانية والمكانية للتنديد بالمثقّفين. وإذا كان مفهوماً أن يخشى رجلُ الدين المثقّف، أو أن يشكّك السياسيُّ المستبدُّ به، بسبب تأثيره المحتمل في الثقافة والمجتمع، وأن يسعى كلاهما إلى الحد من هذا الأثر، أو تحجيمه، فإنه من غير المفهوم لماذا يستعيرها اليساري أيضاً؟

يعرف اليساري (وهو مثقّف بالطبع)

بورتريه لـ لينين (نيكولاي فيبلين)

قصائد

كُسرت أقفالي وأنا أتنزّه فوق سفوح حيا تنا الرّغيدة

ضرر في الشّكل ليس إلا

اسماء عزايزة

خطّاف

آه لو صرتُ خطّافًا
بذيلي المقصوص أغدو
وبه أجيء
لا أفهم لمَ يضيءُ المكم هكذا
حين تبكون فوقَ أمواتكم
في غدوي تموت احتمالاتٌ لا تُحصى
وفي مجيئي تولد في الرّيح
قد أكون أنا نفسي
أو صورةٌ في ذاكرة الشّمس القديمة
قد أكون حيًّا قص الموت ذيلي
أو ميتًا مربوطًا إلى ذيل الحياة.

اعتذار

أعتذر من كلّ الذين فتحوا باب شعري
ووجدوا الموت مختبئًا وراءه، فارتجّت
أرواحهم الرقيقة لمرأى هذا الوحش الغريب
القادم من كوكب آخر. صدّقوني، هذي ليست
دسائسي. إنّما كُسرت أقفالي وأنا أتنزّه فوق
سفوح حياتنا الرّغيدة، حيث خلدتم هناك
أنتم وإسلافكم وأمّهاتكم. أما أنا فلا أعرف
كيف رُميت من أعلى سوركم العظيم فسقطت
فوق جثّة، قلبتها فكانت لأبي. ولم يتكلّف
أحدٌ منكم بتعويضي هذه الضّرر التقنيّ.

هذا الضررُ يسمّى تحوّل البرقة إلى فراشة
ضررٌ في الشّكل ليس إلا
فالجبل حين ينبطح واهنًا كشيخ
يصير مرجًا خصبًا
سأقايضكم بما تبقّى من حياتي
وآخذ هذه الرمية
أتفسّخ من سباتي وأنمو
أشرب كؤوسًا من الحليب
تتراءى لكم زبد الكلام الذي انتهى

أنا رسالةُ مُدنفٍ بعيد
هي بضع حيوات ربّما أصل وأقرأ
أفتح أبوابًا كثيرةً وأطلّ وراءها
هاتان العينان
جسران يعبران أنهر النهايات التي
شُحلتم فيها من فرط ما نظر خوفكم إليها

مرميّةً في الضفّة المقابلة
أنتظر تفسّخي العظيم
من كان منكم بلا موت فليرمني بحجر

لقد نزلتم النهر مرّتين وثلاث
رسائلكم تنزل معكم وتخضلّ

هذه تهاليل اكتبها لانام، هذه احجبة اطويها لاعاود الكتابة

بينما سيداهم أحدُهم بيوتَكم
ويكسر الأقفال.

تهليلة

تعبتُ وأنا أشبّه أشياءً بأشياء
فأنا بالكاد أرى الأشياء كما هي

القُلّة في حديقتي تعبت هي الأخرى
أحدهم مَرّ وقال إنّها مثل حقل من القطن
فراحت تمدّ ذراعيها وقوائمها حتّى تمرّقت
أليافها

كنتُ أشبّه الموت
بظلمةٍ سَخماء أضعنا فيها مفتاح الباب
بحلم لا يقظة منه
بجوفٍ صَنم نتدلّل إليه
إلى أن ارتطمْ أبي بالأرض ومات
فصار الموت موتًا
موتًا فقط

أنا بريئةٌ من التشبيه
شبّهت نفسي بسنبلةٍ وعلقت فيها
فظلّ دارون، منذها، صافنًا في طاولته

أنا بريئةٌ من الشّعر
هذه تهاليل أكتبها لأنام
هذه أحجبة أطويها لأعاود الكتابة.

(شاعرة من فلسطين)

ديفيد كامبريا، إيطاليا

فعاليات

يُنظّم اليوم الجمعة حفل إعلان الفائزين بالدورة الثامنة من **جائزة الدولة لادب الطفل** التي اطلقتها قطر في 2008 وستقام فعالياته عن بعد لاوّل مرة. تحتفي الجائزة بالمبدعين والكتّاب في مجال ادب الطفل، لتشجيعهم على إنتاج اعمال رفيعة المستوى في مجالات ادب وفنون الطفل بحسب بيانها.

تُطلق **مؤسّسة عبد المحسن القطان** في رام الله، عند الخامسة والنصف من مساء الإثنين المقبل، كتاب **الهيمنة على الحشائش**؛ وهو نتاج رحلة بحثية لمعرض بالعنوان نفسه افتُتح في سبتمبر/ ايلول الماضي، ويضمّ مجموعة من الرسائل التي وُجدت في ملف ارشيفي بريطاني، وكانت تهدف إلى القضاء على عدد من النباتات البرية الفلسطينية، إضافة إلى نصوص ادبية لكتّاب فلسطينيّين.

بعد غياب دام عدّة سنوات عن المشهد الموسيقي في القاهرة، تعود الفنانة المصرية **نادية شنب** بعرض موسيقي يُقام عند العاشرة من مساء الخميس، الثالث من كانون الاول/ ديسمبر في **درب 1718** بالقاهرة، حيث تقدم فيه البومها الجديد **حبيت اقلك** وهو مزيج من التراث الموسيقي في مصر ومالي والمغرب والسودان.

تقيم **الهيئة الملكية للافلام** في عمّان ورشة بعنوان **التوزيع الذاتي للافلام الوثائقية ذات التاثير الاجتماعي**، تُفتتح عند السابعة من مساء اليوم، بمحاضرة افتراضية تلقيها المخرجة الاميركية سارة مشمان، التي انجزت افلاما تتناول قضايا المساواة والعدالة الاجتماعية، وحصلت على جوائز عالمية.